

تطورات العالم العربي بعد الربيع العربي

وأثرها على مستقبل المشروع الحضاري

الإسلامي

د. طارق السويدان

1	مقدمة
2	أين نحن الآن؟
3	معايير دراسة الواقع
4	تأثير ثورات الربيع العربي على المنطقة؟
5	أين نتجه الآن وما مستقبل المشروع الحضاري؟
6	المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

كلمة الشكر موجهة إلى القائمين على المنتدى (د. عبد الرزاق مقري الأمين العام) ورئيس الجلسة والمفكرين والباحثين والمهتمين بالحضارة ومستقبل الأمة من الحضور الكريم.

مقدمة

إن الحديث عن المنطقة العربية وأحداث الربيع العربي في ظل المشروع الحضاري، ينبغي أن يكون ضمن قوانين ومعادلات وسنن كونية واجتماعية، ولعل أهم علم يجب أن نقف عنده في تشخيص هذا الواقع وهندسة مستقبل المشروع الحضاري هو علم التغيير، الذي يعلم الجميع جزءً منه وهو علم التخطيط، من خلال دراسة الواقع وإلى أين نتجه الآن؟ وما الغاية التي نريد الوصول إليها؟

إن علم التغيير يُشخّص لنا بوضوح مكامن الأزمات المباشرة وغير المباشرة التي تعيق تقدم المنطقة نحو التنمية والنهضة والاستئناف الحضاري، الذي جاء عنواناً لهذا المؤتمر المميز بجهوده.

وأحاول من خلال هذه المداخلة السريعة، والتي تفتح باباً للنقاش حول مستقبل المشروع الحضاري الإسلامي، الذي يختلف حتمًا عن رؤى وتصورات الأحزاب والحركات الإسلامية بشكلها التنظيمي في

مرحلة سابقة، والتي مرّت بمرحلتين أساسيتين (الإصلاح الدعوي والمجتمعي مع المفكرين الكبار أمثال محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الأفغاني وعبد الحميد بن باديس وحسن البنا، أفكار هؤلاء المفكرين المصلحين ولدت لنا فكرًا ذو أبعاد تنظيمية شكّل لنا ما يُسمى بعهد الصحوة والذي يعيش ختام مرحلة منجزاته الكبيرة.

ولعلّ الربيع العربي هو نهاية مرحلة التنظيمات الإسلامية بشكلها السابق، وهذا لا يعتبر نهاية مأساة وإنما هو مسار طبيعي لمراحل المجتمعات والجماعات والتنظيمات وحتى الدول بأحجام زمنية مختلفة. ولهذا يجب أن نقرأ ببصيرة منحنى التاريخ جيدًا كيف ومتى ولماذا تسقط حضارات وتعود أخرى مجددًا؟

أين نحن الآن؟

دومًا أقول في محاضراتي ودوراتي بمختلف مدن العالم، وبالخصوص إلى الشباب، لا تظنوا أن وضعنا هو الأسوأ، وضعنا أحسنُ بكثير ممّا كنا عليه في بداية القرن التاسع عشر، البلاد العربية تئن تحت الاستعمار الأوروبي وخيراتها منهوبة في كل شبر، لعلّ الفارق في الأمة هو عام 1967 حيث فقدت الشعوب المسلمة القدس، وهو انحطاط الأمة الأعمق في مسار الإنهيار.

وهنا أشير إلى أن الشعوب تثور لأمرين اثنين:

- عندما تجوع وتعيش وضعًا اجتماعيًا صعبًا.

- وعندما تُداس كرامتها ومقدساتها وتفقد عزّتها.

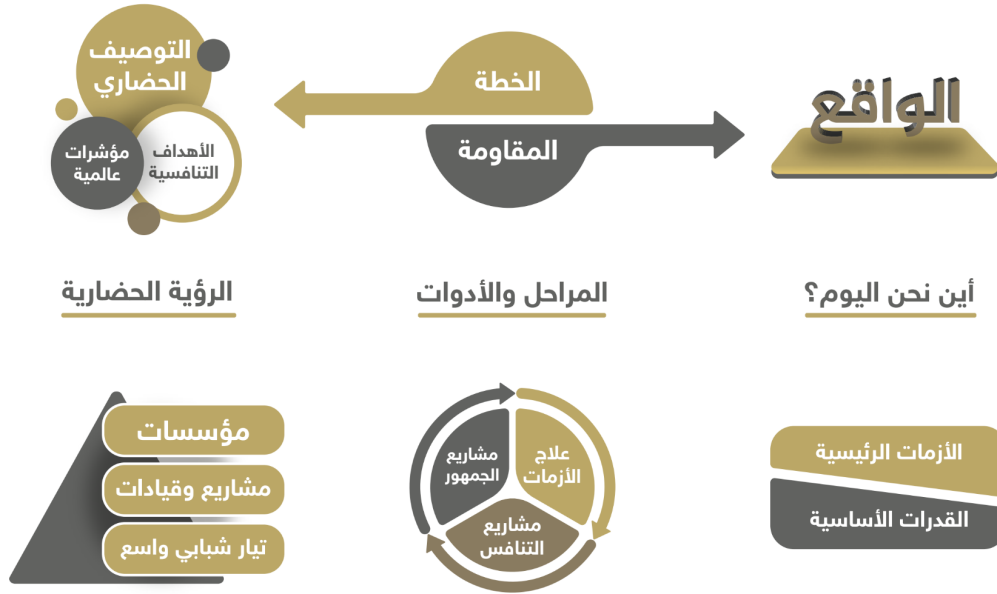
في ذلك العام لم تُثر الشعوب لصالح القدس، وكانت هناك نكسة ونكبة عظيمة بالمنطقة، تأسست بعدها صحوة عظيمة، أدت ما عليها اليوم ولعلّ من نتائج هذه الصحوة هو الثورات العربية التي عبّرت عن أهداف الحركات الإسلامية، حتى وإن لم تُقدّمها في بعض الدول، إلا أنها عبّرت عن الحرية وسقوط الطغيان. لم تكن كافية لكنها حققت جزءً مما يهدف إليه مشروع الصحوة.

وقبل أن نتحدث عن الوضع بعد الربيع العربي، ومستقبل المشروع الحضاري، يجب أن نتوقف عند نقطتين:

- نحن أصحاب مشروع، وأنا شخصيًا كل أعمالتي وجهودي ودوراتي وتحركاتي وهمّي هو نهضة هذه الأمة، أحمل مشروعًا للاستئناف الحضاري، وهي مساهمة منّي مع الحركات والخيرين في هذه الأمة. وبالتالي طرحنا في التحليل يختلف عن غيرنا الذي لا يحمل مشروعًا للأمة، حيث نمزج بين العلم (التخطيط والتحليل والتقييم والاستشراف) والعمل (المشاريع والمؤسسات والعلاقات).

- رغم الأحداث المؤلمة هنا وهناك، الأمة في منحنى تصاعدي في الكثير من المؤشرات، هناك الكثير من الدول الإسلامية والعربية هي رائدة في التعليم ورائدة في الوضع الاقتصادي والتطور التكنولوجي، نظريًا هذه ليست حضارة ولن تكون، لكنّها مؤشرات جيدة بالمقارنة مع الزمن السابق الذي عايشناه حيث لا تمدن ولا تعليم ولا سيادة لدينا. حتى وضع الشعوب تحسّن بالمقارنة ممّا سبق وليس فقط الدول.

معايير دراسة الواقع



عندما نريد دراسة واقع المنطقة العربية، ولماذا لا نتقدم؟ ولماذا لا تنهض هذه المنطقة التي تتوفر على مقومات حضارية واقتصادية وبشرية وثقافية لا تتوفر لدى أي بلد أو أمة أخرى؟ يجب أن نتفق على معايير منع هذا التقدم، أو ما نسميه في علم التغيير بالمقاومة، وهي مكوّن أساسي يجب أن ندركه جيداً لأنه يمنعنا من أي تقدم أو عملية تغيير فعّال، وهناك ما هو أعمق حيث يجب إعداد خطة لمقاومة المقاومة، وهو ما لم يحدث بالربيع العربي.

لم يكن هناك لقادة وحركات الثورات خطة لمنع المقاومة، التي عادت بقوة وهي التي تتمثل أساساً بالمعيار الأول عند تشخيص الواقع:

1. الاستبداد السياسي، كيف هو حال الوضع العربي في ظل الاستبداد والطغيان؟ ما مدى تقدمنا في مؤشرات الحرية والديمقراطية؟ هل هناك تقدم بعد الربيع العربي؟ أعتقد أن حالة الربيع العربي جعلت الوضع مختلفاً وهناك مؤشر حرية جيّد لدى الشعوب مقارنة بما سبقها.
2. الفساد المالي بالدول العربية والذي يعتبر أي تغيير، من أي جهة اصلاحية حتى وإن كانت غير اسلامية، هو تهديد مباشر له، وهو عبارة عن مجموعات مصالح تخدم الاستبداد السياسي وتتغذى من استمراره.
3. علماء الدين ولعلها من أغرب المعايير، أعتقد أن ثورات الربيع كانت كاشفة في هذه المسألة، حول من يقف مع الشعوب وحرمتها وكرامتها؟ ومن يتاجر بالشعوب وقضاياها مع السلاطين والملوك والرؤساء؟
4. التدخل الأجنبي وهي أحد التّحديات الكبرى التي أخرت عمليات التغيير في المنطقة، هذه الأمة لها كل الإمكانيات البشرية والمادية والتاريخية والثقافية والجغرافية لكي تكون في صدارة الأمم. التدخل الأجنبي هو أحد صور المنع والكبح.

5. العدو الصهيوني والصراع الأكبر في الأمة، هل المد الصهيوني في تزايد أم تراجع؟ هل فلسطين تتجه نحو التحرر وفي موقع قوة أم هي لا تزال مثلما كانت عليه قبل الربيع العربي؟ أتوقع أننا نسير في الإتجاه الصحيح حاليًا وبشكل غير مسبوق في الصراع مع الصهاينة.

تأثير ثورات الربيع العربي على المنطقة؟

كيف نقيس هذا التأثير؟ وما هي صور التغيير الحاصل بسبب ثورات الربيع العربي؟

ثمة دول عربية ليست بقليلة في طريقها إلى أن تصبح دولاً فاشلة، تمزقها الحروب الأهلية والإدارات المتهالكة من الداخل، وتنهش لحمها التدخلات الخارجية، وجأها دول لم تحترم تعددية مكوناتها الداخلية. لبنان وليبيا واليمن وسورية والعراق كأمثلة بارزة عن ذلك. وهذا النموذج الأول.

النموذج الآخر هو نموذج الدولة السلطوية، الذي كان قبل الثورات العربية في أغلب الدول العربية، والآخذ في التماهي في سلطويته اليوم، على الرغم من تردّي أوضاعه الاقتصادية والأمنية والاجتماعية. هذا النموذج عصي على التغيير، لأن قوى الوضع القائم فيه ما زالت تفضّل انتهاج الطريق الأسهل سياسياً، وهو طريق الاعتماد على المساعدات الخارجية والدين العام والضرائب غير المباشرة، وارتفاع التضخم، عوضاً عن إصلاحات سياسية واقتصادية حقيقية، وذلك حمايةً لامتيازات شخصية ونظم ريعية بائدة. وأبرز مثال هو مصر وسوريا وتنضم إليها تونس ضاربةً عرض الحائط بكل مكتسباتها الديمقراطية في الفترة الماضية.

النموذج الثالث هو الدول الملكية التي قامت ببعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، لكنها لم تغير في نظام الحوكمة لديها، وهي صنفين، ملكية ريعية مثل دول الخليج وملكوية لها أوضاع اقتصادية صعبة جداً مثل الأردن والمغرب، تفتح المجال الديمقراطي الشكلي، وللأسف أغلب الممالك الآن تتجه نحو التطبيع.

والنموذج الرابع هو التقدم الديمقراطي سياسياً مع انهيار اقتصادي بسبب الفساد المالي والمحاصصة الطائفية والمثال الواضح هو العراق.

إذاً لا يوجد نموذج واحد لنتائج الربيع العربي يمكن تعميمه، والأفضل تقييم تجربة كل دولة على حدة، للخصوصية وطبيعة النظام السياسي والظروف الاقتصادية الاجتماعية وكذلك أهمية ووزن الدولة إقليمياً ودولياً. لا يمكن أن تكون دولة من حيث الأهمية والتأثير الإقليمي للسودان مثل مصر، ولا يمكن أن تكون البحرين مثل السعودية.

أين نتجه الآن وما مستقبل المشروع الحضاري؟

هناك تغيير في المنطقة أثناء وما بعد الربيع العربي، ويمكن قياس ذلك عبر مؤشرات التنافسية التي توّطر لنا مدى التقدم والتراجع لكل دورة، وهناك أمثلة لبعض الدول وتقدمها، منطقة الخليج تعرف تقدماً واضحاً في مؤشرات التعليم والبنية التحتية والاقتصاد واستخدامات التكنولوجيا، لها مراتب متقدمة مقارنة بكل دول العالم وليس فقط بالمنطقة العربية.

يمكن أن نستعين كذلك بدول خارج المنطقة العربية، لكنها مهمة في المشروع الحضاري مثل تركيا التي تحولت إلى قوة اقتصادية وجيو-سياسية وعسكرية، تقود من خلالها كبرى الملفات مثل الحرب الروسية الأوكرانية، هذه مؤشرات ايجابية لصالح الأمة.

ومع ذكر تركيا، فإن الوقوف في وجه الانقلابات العسكرية من قبل الشعوب والسياسيين المنتخبين يمكن أن يكون مصدر الهام لباقي الدول، خاصة وأن التجربة في تطور ونمو وامتداد منذ حزيران يوليو 2016.

إن الحديث عن مستقبل المشروع الحضاري مرتبط بأمرين أساسيين في الوقت الحالي:

- الحرية وما مدى توفر مناخ التعبير الحُر لدى الشعوب وقدرتها على قول رأيها دون خوف ووجل، ويقاس ذلك عملياً بنزاهة الانتخابات، والمسافة السياسية الآمنة بين السلطة العسكرية والسلطات المدنية، لأنها المخرج والملموس من مقصد الحرية المطلوبة.
- المشاريع المستدامة والاستراتيجية التي يجب أن يشتغل عليها قادة الأمة والمنظمات الكبرى والدول التي لها رؤية استراتيجية في النهضة والاستئناف الحضاري، وبالخصوص في مجالي الفكر والإعداد القيادي. إن التركيز على إنشاء جيل جديد بالفكر السوي والكفاءة القيادية العالية يخلص الأمة مستقبلاً من الكثير التعقيدات والتهديدات المستمرة بها.

إن الاهتمام بقيادة الغد هو الاستثمار الأمثل في الإنسان العربي المسلم، وهي ليست الحل الوحيد لكنه هو الأهم في الاستراتيجية المطلوبة للأمة من أجل نهضتها، ولنا سلسلة متكاملة حول الإعداد القيادي، يتضمن المناهج والبرامج والأدوات والكيفية والمؤشرات ومخرجات القادة.

وبهذا التفكير نحو نتجه من المنظمات الشمولية للحركات والمبادرات الإسلامية إلى الأفكار والمشاريع الابتكارية التي يمكنها أن تعالج الأزمات والتحديات، لم يعد بإمكان المنظمات أداء دورها بشكل كافي وفعال بمثل ما مضى من عقود، حالياً هناك نظريات وأدوات جديدة في الحقل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمعات المسلمة، تتطلب منا استراتيجية تعتمد على تأسيس عدد كبير من المشاريع في الأمة (بعيداً عن الوصاية عليها) والتركيز دوماً على النضال من أجل هامش حرية أوسع للشعوب.

والله المستعان.

المصادر

1. [الحضارة الإسلامية القادمة، د. طارق السويدان](#)
2. [الخطة الاستراتيجية لنهضة الأمة، د. طارق السويدان](#)
3. [الحرية في دولة الإسلام، د. طارق السويدان](#)
4. [الدولة التي أحلم بها، د. طارق السويدان](#)
5. [محاضرة الانبعاث الحضاري وشباب الأمة.](#)